روزا لوكسمبورج (١٨٧١-١٩١٩)

Rosa Luxemburg

١- حياتها :-

فتاة بولندية من يهود اليديشية، وإحدى أهم الشخصيات النسائية في تاريخ الاشتراكية الدولية. وُلدت لعائلة يهودية تجارية في مدينة زاموست في بولندا الروسية، وانضمت في شبابها إلى الحزب الاشتراكي الثوري البولندي (البروليتاريا). ثم درست التاريخ الاقتصادي السياسي في جامعة زيورخ حيث حصلت على درجة الدكتوراه عام ١٨٩٧. وتناولت رسالتها التطور الصناعي في روسيا وبولندا. وشاركت روزا أثناء فترة دراستها في الحركة الاشتراكية السرية للمهاجرين البولنديين في سويسرا. وفي أوائل التسعينيات من القرن التاسع عشر، ساعدت في تأسيس الحزب الاشتراكي الديموقراطي في بولندا وليتوانيا.

وقد لعبت روزا لوكسمبورج دوراً مهماً في الحركة الاشتراكية العمالية الألمانية. وهاجرت إلى ألمانيا عام ١٨٩٨ حيث اكتسبت الجنسية الألمانية من خلال زواج صوري، ثم اتجهت للعمل مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني الذي كان يُعتبَر آنذاك أقوى وأكبر أحزاب الدولية الاشتراكية على الإطلاق. كما عملت في الصحافة واكتسبت من خلال مناقشتها الحيوية ونشاطها ضد عناصر المراجعة داخل الحزب، مكانة بارزة داخل الجناح اليساري الثوري للحركة الاشتراكية الألمانية. واهتمت روزا لوكسمبورج بالإضراب العام كأداة مهمة للعمل الثوري وبلورت مفهوم الحركة العفوية أو التلقائية للجماهير كشرط أساسي للإضراب العام، مختلفةً في ذلك مع لينين والبلاشفة الذين اعتبروا الحزب الأداة الرئيسية لذلك. وقد اختلفت مع لينين أيضاً حول مفهوم ديموقراطية البروليتاريا، وأدانت مركزية البلاشفة بعد انقسام الحزب الاشتراكي الروسي عام ١٩٠٣، كما انتقدت فترة الإرهاب والقمع التي أعقبت ثورة ١٩١٧ البلشفية. واشتركت روزا لوكسمبورج في ثورة ١٩٠٥ . ١٩٠٦ في بولندا وسُجنت إثرها عدة أشهر عادت بعدها إلى برلين لتقوم بالتدريس في الكلية الاشتراكية بها. وقد تعرضت للسجن مرة أخرى بسبب معارضتها الحرب العالمية الأولى التي اعتبرتها حرباً بين قوى إمبريالية. وقد كان لروزا لوكسمبورج مساهمة مهمة في بلورة نظرية الإمبريالية التي اعتبرتها امتداداً للنظام الرأسمالي المتعطش للأسواق. وفي عام ١٩١٦، أسَّست بالتعاون مع فرانز مهرنج وكارل لايبنخت

المنظمة الثورية (عصبة سبارتاكوس) التي جسدت انفصال الجناح اليساري الثوري عن الحزب الاشتراكي الألماني. وتحوَّلت هذه المنظمة في نهاية عام ١٩١٨ إلى الحزب الشيوعي الألماني. وفي يناير عام ١٩١٩، وبعد أسبوعين فقط من تأسيس الحزب الشيوعي، تم إلقاء القبض عليها وعلى لايبنخت في برلين، واغتيلا على أيدي حراسهما من ضباط الجيش وهما في طريقهما إلى السجن.

٢- اهم افكارها السياسية :-

اشتهرت كتاباتها السياسية في المقالات التي كانت تكتبها عن الحركة الاشتراكية الاوربية ، ومن اهم الافكار السياسية التي تناولتها الاتي :-

أ- الامبريالية ومستقبل الراسمالية :

ظهرت عدة كتابات تحاول تبرير الاستعمار والامبريالية كان اهمها راي اوتو باور الذي ذهب فيه الى ان استعمار الدول المتخلفة والحاقها بالقوة يمكن ان يفضي الى دمج هذه الشعوب في الحضارة العالمية الحديثة ، وتمهيد السبيل امام اقتصاد عالمي تنزع فيه معدلات الربح الى التساوي ، وبذلك تتحضر هذه الشعوب وتكون عاملا لاستمرار النظام الراسمالي بوصفه النظام الاقتصادي الافضل الذي يديم لهم التطور المتحقق .

ونظرية هيلفر دينيك : ان التراكم الراسمالي في الدول سيفضي الى تركز راس المال في يد اوليغارشية تسيطر على السوق القومي من خلال الكارتلات والترستات ، وهذا التطور سيصاحب عمليات الانتاج في كل الدول مما يؤدي الى تفاقم المنافسة في السوق الدولية ويؤجج الصراع بين جميع الدول ، لكن هذا الصراع سوف لن يقوض النظام الراسمالي بل سيؤدي الى نفي المزاحمة في اطار اقتصادي موحد تحت هيمنة ما يسمى (فوق الاحتكارية) مثلما انتهى المطاف الى انهاء المزاحمة في السوق القومية.

ترى روزا ، ان ذلك سوف يؤدي الى استحالة تطور الراسمالية بعد انتشارها على امتداد سطح الكرة الارضية ، ذلك لان الراسمالية من خلال انتاجها للسلع الاستهلاكية التي لا يمكن ان تباع الا الشرائح ما قبل الراسمالية في اوربا ، اي الى الشعوب ذات النمط الزراعي وشعوب المستعمرات ، التي ستنتقل من الانتاج الزراعي الى الانتاج السلعي الاستهلاكي وتتطور لانتاج السلع الانتاجية الراسمالية مما سيؤدي الى تقليل الرساميل التي ستحصل عليها الدول الراسمالية ويؤدي بها شيئا فشيئا الى الاضمحلال والضمور .

ب- القومية وحق تقرير المصير :

يذهب الفكر الماركسي الى اهمية نضال الامم من اجل تقرير مصيرها ، الا ان روزا وفي مقالتها الموسومة (مسالة القومية والاستقلال الذاتي) ترى ان الاشتراكية تهدف بالاساس الى القضاء على كل اشكال الاضطهاد بما فيها اخضاع امة لامة اخرى ، الا ان حق تقرير المصير في ظل الهيمنة الامبريالية سيحرف عن اهدافه النبيلة وسيؤدي الى تبعيتها سياسيا واقتصاديا ، الامر الذي سيضر بالطبقة العاملة لان القوى القومية التابعة للراسمالية سوف تقوى مما سيؤدي الى تقسيم نضال العمال خلف الاسوار القومية وحدودها التي رسمتها الراسمالية .

ج- اقامة المجتمع الاشتراكي :

ترى روزا لكسمبورغ انه من الخطأ الاعتقاد بان التنظيمات النقابية هي القادرة من خلال تاطير نشاطات العمال ونضالهم لها القدرة على اقامة المجتمع الاشتراكي ، فالنقابات واحدة من عناصر الكفاح ولكنها ليست الاهم ضد الراسمالية ، فالعنصر المهم هو التخلص من حلم ووهم ان الاضرابات ستقضي على الراسمالية التوجه صوب سعي البروليتارية الى السيطرة على راس المال والاستيلاء على السلطة هو وحده القادر على اقامة المجتمع الاشتراكي ، وان التعويل على الاشتراك في الانتخابات والنضال البرلماني سيؤدي الى تلاشي دور العمال وانصياعهم الى الاحزاب الراسمالية ، لذلك فالنضال الذي يؤدي الى اقانة المجتمع الاشتراكي ينطلق من خارج البرلمان لان العنف هو القانون الاعلى لصراع الطبقات .

د- الاضراب والعفوية الجماهيرية:

تعمتد روزا على العفوية في العمل السياسي ، وبذلك تعارض لينين في كتابه (ما العمل) الذي يرى بضرورة وجود الحزب الثوري الذي ينقل الوعي للعمال ، في حين ترى روزا بان العفوية والوعي ليستا غمليتين منفصلتين ميكانيكيا ، فمسيرة الصراع تكسب العمال الوعي شيئا فشيئا ، وليس هناك حاجة لقيادة تذهب بالعمال الى حرف نضالهم بل الثقافة والعمل الواعي سيكون مكانه عند كل العمال دون حزب او نقابة للتوافر القاعدة الاجتماعية العريضة التي ستسهم في تعزيز وعي وعفوية الجماهير المندفعة ، واستشهدت روزا بالاضرابات العفوية في بلجيكا واستراليا وامريكا التي قضت مضاجع الراسمالية وشغلتها ، فتاريخ الثورات يؤكد ان الحركات الشعبية العنيفة هي ظواهر بديهية

تنتج عن قوة طبيعية نابعة من الطبيعة الطبقية للمجتمع اكثر مما تنتج عن وعي تعسفي لقادة او احزاب ، فالحركات الثورية لم تكن من تخطيط وابتكار القادة ، بل كانت نتاجا عفويا للحركة العمالية (كما حدث في روسيا عام ١٩٠٥) استطاعت ان تصل الى نتائج لم يكن قادر على التوصل لها الكثير من القادة الاشتراكيين او ان يتوقع نتائجها .

مما تقدم خلصت روزا الى القول بعدم اهمية وجود الحزب الثوري الانها وبعد تجربة منظمة سبارتكوس ، ان التنظيم المركزي للحزب شرط اساسي لقدرة الجماهير على النضال .

ان الاثار التي تركتها روزا لوكسمبورغ جعل التنظيمات الاشتراكية وخاصة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني يعقد في كل عام حفلا تابينيا لذكرى مقتلها مع زميلها كارل ليكنشت في ١٩١٩/١/١٥ ، وقد اشترك في هذا العام ٢٠١٤/١/١٥ ما يقارب المائة الف شخص في الحفل التابيني ووضعوا الزهور على جانبي الطريق في قناة الجيش حيث رمي جثمانيهما .